مجلة الدراسات الاجتماعية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا

مجلة الدراسات الاجتماعية المجلد (10) العدد (19) يناير - يونيو 2005م

توجه جميع المراسلات إلى نائب رئيس التحرير على العنوان التالي

مجلة الدراسات الاجتماعية - جامعة العلوم والتكنولوجيا - الإدارة العامة - صنعاء

ص ب 13064 ـ هاتف 373240 فاكس 373234
البريد الإلكتروني jss@ust.edu

مجـــــلة
الدراسات الاجتماعية

العدد التاسع عشر

يناير ـ يونيو 2005

رقم الإيداع (21 ـ لسنة 2001)

الطباعة والإخراج الفني :

داود محمد الخضمي

كمال محمد النجدي

المحتويات

الأبحاث مرتبة حسب أسبقية ورودها إلى المجلة .

الإلهـــــام
مفهومه ودلالته وموقف الأصوليين والصوفية منه

د. محمد عبد الكريم بركات
أستاذ أصول الفقه المساعد
كلية التربية والآداب والعلوم بصعدة – جامعة صنعاء

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا مؤتمّين بالقرآن، متّبعين لآثار من مضى بإحسان، غير مبتدعين بجهالة، ولا متمسكين بضلالة، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وعلى آله وأصحابه والداعين بدعوته المنتصرين لشريعته إلى يوم الدين أما بعد

فهذا بحث في (الإلهام مفهومه ودلالته وموقف الأصوليين والصوفية منه) وكانت رغبتي شديدة في أن أطرق هذا الموضوع مستهدياً بكتب العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين ، وانظر في أقوالهم المختلفة، وأدلتهم المتنوعة، وأعزو كل قول إلى قائله من مصادر مذهبه المعتبرة، مع توضيح الاعتراضات والرد عليها، وبيان الراجح منها في وحدة موضوعية، مبتغياً من وراء ذلك أن يقف القارئ على حكمة تشريع الأحكام ، وما تكون عليه الأمة الإسلامية من هدى شامل، وسعادة غامرة، واطمئنان قلب لو تمسكت بشريعتها، يقول صلى الله عليه وسلم (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي.) (1) ، ذلك لأن الاستقامة على منهاج الإسلام، طريق الهداية ومفتاح الخير، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بالكتاب أصل الشريعة وأساس مبادئها، وبالسنة النبوية ترجمان القرآن وبيانه، وبالاقتداء بالسلف الصالح،

---

(1) أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، ج 1 : 161، رقم 319 وفي سنده علّة وعند مسلم بدون لفظ (سنتي)

القائمين بحدود الله، العاملين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل خروج عن هذا المنهاج، فيه الهلكة، وما ضلت الأمم السابقة واستحقت اللعنة والعذاب إلا بالابتداع وترك الاتباع، ولأن الهدى والرشاد والفلاح والغلبة على الأعداء في الاتباع والتمسك بكتاب الله المتين وسنة نبيه الأمين اللذين فيهما الوقاية لهذه الأمة من الانحراف، وعن وقوعها فريسة لتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين

ومن ثمّ كان من مزالق الاجتهاد الغلو، ومن الغلو اعتبار الإلهام حجة شرعية إلى حدّ يضاهي مُحكمات النصوص ، أو في مرتبتها كما يُحكى عن بعض غلاة المتصوفة المنحرفين الذين يبالغون في تعظيم الإلهام والكشف والرؤى، حتى جعلوها من الأصول المعتبرة بجانب الكتاب والسنة ، من غير التزام بالضوابط التي أجمع عليها محققو علماء الإسلام في تفسير النصوص الإلهية، سواء أكانت من الكتاب أم من السنة

ولا شك أن للعبادة الصحيحة والإيمان الصادق، والمجاهدة وقمع الشهوات نوراً يقذفه الله في قلب عبده الصالح، وعن طريق العبادة يتربى في الإنسان الوازع أو الضمير الحي اليَقِظ الذي يكون له دور في توجيه سلوك صاحبه، لأن العبادة تربي هذا الشعور في النفس على أساس من خوف الله وخشيته وتقواه وابتغاء رضوانه وإحسانه ورحمته

وقد ورد التعبير عن هذا الإحساس أو الشعور في الحديث باسم (واعظ الله في قلب المسلم)، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً .. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ

الله في قلب كل مسلم) [2]، فمرتبة الإلهام لا تُنال إلا بالطلب والاجتهاد والمجاهدة، وقمع الشهوات واقتحام الطاعات، ودوام المراقبة، وتنقية السريرة، وصفاء الجوهر، حتى يستشعر أنه ذلك المؤمن الصادق الذي يرى بنور الله ، فتنفتح أمام بصيرته عوالم الإدراك، وأنوار المعارف ، تهدي خطاه إلى كل خير وصواب

ولذا رأيت أن أخوض غمار هذا الموضوع طمعاً فيما عند الله، وإسهاماً متواضعاً في خدمة شريعتنا الغراء، ومما شجعني على هذا الموضوع إفراده ببحث مستقل أني لم أقف فيما سبق على من تعرض له ببحث بمفرده، وحقق القول فيه بموضوع جامع أبان فيه عن وجه الحق

وأتناول هذا الموضوع في هذا البحث وفقاً للتقسيم التالي؛ فجعلته في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة

المقدمة وتشتمل على خطة البحث، وأهميته

المبحث الأول : ويشتمل على معنى الإلهام لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني :ويشتمل على الفروق بين الإلهام وبين التحديث، والفراسة، والكشف

المبحث الثالث : ويشتمل على الإلهام في ميزان الوحي

المبحث الرابع : ويشتمل على الإلهام عند الأصوليين والصوفية ودلالته

المبحث الخامس : ويشتمل على بيان الراجح في المسألة

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ونوهّت فيها بمصداقية الشريعة الإسلامية الغراء لمعالجة شئون الإنسان الخاصة والعامة، ومنها هذه الجزئية

---

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ4 : 182 – 183 عن ابن مسعود، والحاكم في مستدركه جـ 1 / 736، وقال (صحيح على شرط مسلم ، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ط دار الكتاب العربي – بيروت

وأرجو من اللّه التوفيق لما قصدت، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به يوم يقوم الأشهاد

المبحث الأول

في معنى الإلهام لغةً واصطلاحاً

(أ) الإلهام لغة مصدر ألهم، وهو ما يلقى في الرُّوع – بضم الراء – أي القلب يقال ألهمه اللّه، واستلهم اللّه صبراً .[3] قال تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) [4].

قال الفراء وألهمه اللّه خيزاً ألقاه في رَوعه، ولقّنه إياه [5]. وبمثله قال الفيروزأبادي [6].

وقال الزبيدي الإلهام ما يُلقى في الروع بطريق الفيض، ويختص بما هو من جهة اللّه والملأ الأعلى [7].

ويقال الإلهام إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص اللّه به بعض أصفيائه [8].

وقال ابن منظور الإلهام أن يلقي اللّه في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص اللّه به من يشاء من عباده [9].

وقيل الإلهام ما يلقى في القلب من معانٍ وأفكار [10].

---

(3) مختار الصحاح ص 253، والقاموس المحيط ص 667.

(4) سورة الشمس الآية (8).

(5) مجمل اللغة جـ3 : 797.

(6) القاموس المحيط ص 1070.

(7) تاج العروس شرح القاموس المحيط مادة (لهم

(8) المعجم الوجيز ص 566، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للنشر، القاهرة، ط الثانية، 1406هـ – 1986م

(9) لسان العرب مادة (لهم

(10) المعجم الفلسفي جـ1 : 130 – 131.

فهذه المعاني اللغوية تنصب على فكرة الإيقاع في القلب الذي يُثلَج له الصدر، ويطمئن له القلب أو التلقي الذي يختص الله به بعض أصفيائه، فهو أشبه بالمعنى الاصطلاحي

(ب) الإلهام اصطلاحاً هو عبارة عن خلق الله تعالى في قلب عبده الصالح علماً ضرورياً، من غير أن يسلك في الوصول إليه منهج علماء الظاهر من ترتيب المقدمات، وتنظيم الأقيسة - سواء أكان علمه متعلقاً بالمسائل العملية أو بالمسائل النظرية [11].

وعلامته أن ينشرح له الصدر، ويطمئن له القلب، ولا يعارضه وجود خاطر آخر مثله [12].

وعرفه أبو زيد الدبوسي بقوله (الإلهام ما حرَّك القلب بعلم يدعوك إلى العمل به من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة) [13].

وعرفه القشيري - أحد أئمة الصوفية - بخطاب يرد على الضمائر من قِبل الملَك، وسُمّي الخِطاب الوارد عليها من قبل الله تعالى وإلقائه، بخاطر الحق [14].

وقال فإذا كان من الملَك يُعلم صدقه بموافقة العلم، فلذا قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل [15].

وعرفه الغزالي بقوله (الإلهام نور يُقذف في القلب) [16].

وقال التفتازاني (هو إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض) [17].

---

(11) ينظر فصول البدائع جـ2 : 391، تيسير التحرير جـ4 : 175، جمع الجوامع جـ2 : 356.

(12) الفتاوى لابن الصلاح جـ1 : 196، إرشاد الفحول جـ2 : 1016.

(13) تقويم الأدلة جـ2 : 767.

(14) الرسالة القشيرية ص 43، وقد سمّى القشيري الخطاب الوارد من قبل النفس بالهواجس، ومن قبل الشيطان بالوسواس، ويشمل اسم الخاطر جميع الأنواع الأربعة

(15) المصدر نفسه

(16) إحياء علوم الدين جـ3 : 18.

(17) شرح العقائد النسفية ص 41.

وعرفه الجرجاني بقوله (الإلهام ما يُلقى في الروع بطريق الفيض) [18].

وأضاف الجرجاني في موضع آخر [19] : إن الفرق بينه وبين الإعلام أن الإلهام أخصّ من الإعلام، لأنه قد يكون بطريق الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه

وعرفه الشنقيطي بأنه (إيقاع شيء في القلب يُثلَج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه) [20].

وإذا تأملنا المعنى اللغوي والاصطلاحي لتعريف (الإلهام) الأخير ، رأينا بينهما علاقة وثيقة، فإن المعنى الاصطلاحي لم يخرج عن المعنى اللغوي بحال، بل هو دائر في فلكه، لكون الإلهام ينصب على فكرة الإيقاع في القلب ، أو التلقي الذي ينشرح به الصدر وتطمئن له النفس من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية، لكونه منحة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده الأخيار ليصل إلى مقامات الإلهام والتحديث والفراسة والكشف

شرح التعريف المختار :

(إيقاع شيء في القلب) احتراز عن الوسوسة؛ لأنه إلقاء معنى في النفس بمباشرة سبب نشأ من الشيطان له

(يُثلَج له الصدر) احتراز عن الشعور بالضيق وعدم الارتياح والانشراح

(من غير استدلال) احتراز عن تقرير الدليل لإثبات المدلول ، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر أو بالعكس

(بوحي) أي بلا واسطة عبارة الملَك وإشارته مقرون بخلق علم ضروري أن ذلك المعنى منه تعالى

(18) التعريفات ص 34.

(19) المصدر نفسه

(20) أضواء البيان جـ2 : 418.

(ولا نظر:) احتراز عمّا يتوقف حصوله على نظر وكسب

(في حجة عقلية) إذا لم يكن له معارض من نص أو اجتهاد أو خاطر.آخر

(يختص الله به من يشاء من خلقه) يخرج منه غير المختصين من عباده؛ لأنه لا ثقة بخواطره؛ ولأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان.فيها

مثاله ما أخبر به المولى عز وجل عن أم موسى عليه السلام بقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [21].

شرطه ولا يصل العبد إلى هذه المرتبة إلا بتزكية النفس وتهذيبها، بالعمل بتعاليم الشريعة الإسلامية، والتمسك بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومخافة الله تعالى في جميع الأحوال، وإخلاص العمل له

المبحث الثاني

الفروق بين الإلهام وبين التحديث والفراسة والكشف

(أ) الفرق بين الإلهام والتحديث :

المحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بشيء، فيكون كما يحدَّث به [22]، مثل ما كان لعمر رضي الله عنه

فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم) [23].

---

(21) سورة القصص الآية (7).

(22) مدارج السالكين جـ1 : 63.

(23) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه جـ7 : 42 في فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عمر بن الخطاب بلفظ (إنه كان في الأمم. .) ومسلم في صحيحه ص 1039، في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب، برقم 2398، واللفظ له

وذهب الهروي إلى أن الإلهام هو نفس التحديث، بينما رأى ابن القيم شارح منازل السائرين أن بينهما عموم وخصوص، فكل تحديث إلهام، وليس كل إلهام تحديثاً[24].

فقال (التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، وأما التحديث فإلهام خاص وهو – أي الإلهام – الوحي إلى غير الأنبياء، إما من المكلّفين، كقوله تعالى (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي)[25]، وإما من غير المكلّفين، كقوله تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون)[26]، فهذا كله وحي إلهام)[27].

وأما مرتبة التحديث فهي دون مرتبة الوحي الخاص، ودون مرتبة الصِّدِّيقين

قال ابن تيمية (الصدِّيق أكمل من المحدَّث، لأنه استغنى بكمال صِدِّيقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلّم قلبه كله، وسرّه وظاهره وباطنه للرسول، فاستغنى به عمّا هو منه

قال وكان هذا المحدَّث يعرض ما يحدَّث به على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قَبِله، وإلا ردّه فعُلم أن مرتبة الصِّدِّيقية فوق مرتبة التحديث)[28].

قال ابن القيم (وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية يقول جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلّق وجودهم في هذه الأمة بـ (إن) الشرطية مع أنها أفضل الأمم، لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء هذه الأمة عنهم[29] بكمال

---

(24) ينظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين جـ1 : 68.

(25) سورة المائدة الآية (111).

(26) سورة النحل الآية (68).

(27) مدارج السالكين جـ1 : 68 بتصرف

(28) المصدر نفسه جـ1 : 64.

(29) ضمير الجمع راجع إلى المحدَّثين الذين ورد فيهم النص المتقدِّم

نبيها ورسالته، فلم يُحوجِ اللّه الأمة بعده إلى محدَّث ولا ملْهَم، ولا صاحب كشف ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها) [30].

وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات (حدثني قلبي عن ربي)، فصحيح أن قلبه حدَّثه ولكن عمَّن ؟ عن شيطانه ؟ أو عن ربه ؟ فإذا قال (حدثني قلبي عن ربي) كان مسنداً الحديث إلى مَن لم يعلم أنه حدَّثه به، وذلك كذب [31].

قال ابن تيمية (ومحدَّث الأمة – يعني عمر بن الخطاب – لم يكن يقول ذلك، ولا تفوَّه به يوماً من الدهر، وقد أعاذه اللّه من أن يقول ذلك، بل كتب كاتبه يوماً (هذا ما أرى اللّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) فقال لا، امحه واكتب (هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن كان صواباً فمن اللّه، وإن كان خطأً فمن عمر، واللّه ورسوله منه بريء)

وقال في الكلالة – ميراثُ من مات وليس له أصل ولا فرع وارث (أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن اللّه، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان)

فهذا قول المحدَّث بشهادة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وأنت ترى الاتحادي، والحلولي، والإباحي، والشطاح يجاهر بالفرية فيقول (حدثني قلبي عن ربي)

فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين، والقولين والحالين، وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل الخالص شيئاً واحداً) [32].

وقال أبو زيد الدبوسي (وقد ابتُليت بقوم زعموا أن العبد يرى ربه بقلبه فيعرفه بلا نظر، ولا استدلال بالآيات، وهذا قول لم يكن في السلف).

---

(30) مدارج السالكين جـ1 : 63.

(31) المصدر نفسه، ج1 : 64.

(32) مدارج السالكين جـ1 : 64.

والقلب مضغة ليس لها حاسة رؤية، مثلما ليس لسائر الأعضاء حاسةرؤية، فلا فرق بين قول من يقول (رأيت ربي بقلبي) وبين قول من يقول (رأيت ربي بيدي أو سمعي)

قال وإنما رؤية القلب علمه بنظره، ونظره التفكر، لا يتصور غير ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (تفكروا في الآيات، ولا تتفكروا في الذات)[33]؛ لأن الآيات محسوسة؛ فالتفكر فيها يدلنا على الله تبارك وتعالى، وأما التفكر في الذات فيوجب التعطيل، كنظر العين إلى ما لا يُرى)[34].

وحُكي عن محمد بن زكريا الغلابي أنه قال لأصحابه إذا كلمكم الموحدون في الآيات، فكلموهم في الذات وبه تعلق فرعون في محاجة موسى عليه السلام، قال وما رب العالمين ؟[35] فأعرض موسى عن جواب المحال، وأجاب بالوصف قال رب السماوات والأرض[36]

قال الدبوسي وما كفر حكماء الأوائل إلا بتفكرهم في الذات والماهية[37].

(ب) الفرق بين الإلهام والفراسة :

(1) الفراسة لغة الفِراسة بكسر الفاء النظر والتثبّت والتأمل للشيء والبصر به

(33) الحديث ضعيف، أورده الحافظ السخاوي بطرق مختلفة ينظر المقاصد الحسنة ص159.

(34) تقويم الأدلة جـ 2 : 785.

(35) كما في سورة الشعراء الآية (23).

(36) كما في سورة الشعراء الآية (24).

(37) تقويم الأدلة جـ2 : 787، والماهية هي ما يجاب به على السؤال ما هو ؟ وهي الشيء المتعلق من شيء ما بغض النظر عن وجوده الظاهر وأعراضه مثل الحيوانية، والنطق عند الإنسان التعريفات ص 195، المعجم الفلسفي جـ2 : 314.

يقال إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به، وتفرسّ فيه الشيء توسّمه، وتفرست فيه الخير تعرفته بالظن الصائب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن) [38].

وأما الفَراسة – بالفتح – العلم بركوب الخيل وركضها من الفروسية، والفارس الحاذق بما يمارس من الأشياء كلها، وبها سمّي الرجل فارساً

قال ابن الأثير ويقال بالمعنيين أحدهما ما دلّ ظاهر الحديث عليه، وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات، وإصابة الظن والحدْس

والثاني نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس [39]

(2) الفراسة اصطلاحاً عرفها الراغب الأصفهاني بقوله هي الاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله [40]

وربما يقال هي صناعة صيَّادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله

وقد نبّه الله على صدقها بقوله تعالى : (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) [41] وقوله (تعرفهم بسيماهم) [42]، وبقوله (ولتعرفنهم في لحن القول) [43].

---

(38) سيأتي تخريجه

(39) لسان العرب جـ 5 : 109، والقاموس المحيط ص521، المصباح المنير ص277.

(40) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص 186، وممن حكم بالفراسة القاضي إياس بن معاوية، وعبد الله بن عباس عندما جاء شاب وهو في مجلسه، وقال له في اندفاع هل للقاتل من توبة ؟ فقال له ابن عباس لا، وعندما سأله الحاضرون كيف تحول بينه وبين التوبة التي يعلم كل مسلم أن بابها لا يغلق ما لم تبلغ الروح الحلقوم ؟ قال لهم إني قلت له ذلك، لأني رأيت القتل في عينيه، إنه يريد أن يقتل ثم يتوب، ونصه (تفرست فيه، اتبعوه إن لم يرد القتل) الخبر في مصنف ابن أبي شيبة، وينظر الموافقات جـ2 : 182.

(41) سورة الحجر الآية (75).

(42) سورة البقرة الآية (273).

(43) سورة محمد الآية (30).

ومن الفراسة علم الرؤيا، وقد عظّم الله أمرها في جميع الكتب المنزّلة [44].

والراغب الأصفهاني هنا لا يفرِّق بين الإلهام والفراسة والتحديث

وأما الهروي في (منازل السائرين) فقد جعل مقام الإلهام فوق مقام الفراسة؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة، واستصعبت على صاحبها وقتاً واستعصت عليه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد

وناقش ابن القيم الشيخ الهروي في ذلك فقال (وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتُجّ عليه بأن الفراسة ربما وقعت نادرة كما تقدم ، والنادر لا حكم له، وربما استعصت على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقام القرب والحضور

والتحقيق في هذا أن كلاً من (الفراسة) و (الإلهام) ينقسم إلى عام وخاص، وأن خاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيراً، وخاصهُ قد يقع نادراً ولكن الفرق الصحيح أن الفِراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجرَّدة، لا تُنال بكسب البتة) [45].

(ج) الفرق بين الإلهام والكشف :

(1) الكشف في اللغة كالضرب، يقال كشف الشيء وكشف عنه كشفاً رفع عنه ما يواريه ويغطّيه ويقال كشف الأمر يكشفه كشفاً أظهره، وكشّفه عن الأمر أكرهه على إظهاره، وكشف الله غمّه أزاله، ومنه قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) [46]، ويقال كشف الطبيب على فلان فحص حالته وكشف علته[47].

---

(44) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص 186 – 188 وينظر موقف الإسلام من الإلهام ص 19 – 20.

(45) مدارج السالكين جـ1 : 69.

(46) سورة الدخان الآية (12).

(47) ينظر لسان العرب جـ5 : 408، والقاموس المحيط ص 783، والمعجم الوجيز ص 535.

(2) ومعناه الاصطلاحي عند المتصوفة بأنه مشاهدة الرب بنور البصيرة، وذلك يمحو شهود ما سوى الله، وعدم الانشغال بأي شيء غيره حتى لا يشهد القلب إلا معروفَه[48].

وبالنظر إلى هذا التعريف نلمس تداخلاً بين المعنى الاصطلاحي للإلهام والمعنى الاصطلاحي الصوفي للكشف؛ فعبارة (مشاهدة الرب بنور البصيرة) قد يعني إلقاء المعارف في القلب بطريق الإلهام، إذ المقصود أن الكشف يتأتى بوجه من وجوهه بمعنى الإلهام الذي نريده

قال ابن تيمية في (العبودية) [49] متحدثاً عن الفناء عن شهود السوي : (وهو يحصل لكثير من السالكين ، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ضعفت قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد، ولا يخطر بقلوبهم غير الله ولا يشعرون كما قيل في قوله تعالى : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) قالوا فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهذا كثيراً ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، إما حب وإما خوف وإما رجاء، ويبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء إلا مما قد أحبه أو خافه أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره، فإذا قوي صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى، والمراد فناؤها في مشهود العبد وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها)

---

(48) في التصوف ص 13.

(49) ص 96.

المبحث الثالث

الإلهام في ميزان الوحي

لقد خلق اللّه الإنسان في أحسن صورة، ومنحه فطرة صافية، وسخّر له ما في السماوات والأرض، وأعانه على مهمته وهي الاستخلاف عنه في الأرض، وبمقتضى هذا الاستخلاف فضّله اللّه وكرّمه على مخلوقات الأرض جميعاً، فأعطاه مكانة إيجابية، وإرادة نافذة، ومنحه في سبيل أداء مهمته – مواهب وأعطيات جمّة، ولكن لم يدعه لنفسه أو فطرته، وإنما بعث إليه بالوحي الإلهي الذي هو أسمى درجات الرقي استكمالاً للتأهيل بالهداية والرشاد

قال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين).[50] والوحي نعمة كبرى، من أجلِّها خصائص المنهج الرباني المطابقة لخصائص الإنسان، الملائمة لطبيعته وكينونته، لأن الإنسان حين يطابق نفسه مع هذا المنهج الرباني يرقى في سلّم الإنسانية صعُداً، ويكون مهيأً لمهمته

وفي أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمثلة من التوجيه إلى هذا التطابق بين المنهج والإنسان، ففي الحديث (اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم اللّه تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ..)[51].

وليس ببعيد على اللّه تعالى أن يصطفي من عباده نفوساً لها من نقاء الجوهر، وسلامة الفطرة ما يُعدّها للفيض الإلهي، والوحي السماوي، والاتصال بالملأ الأعلى ليلقي إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رقيّ وجدانه، وسمو أخلاقه، واستقامة نظامه، وهؤلاء هم رُسُله وأنبياؤه

---

(50) سورة البقرة: الآيتان (1–2).

(51) أخرجه الترمذي في سننه رقم 2306، في الزهد، وهو حديث حسن، وابن ماجه في سننه رقم 4217، في الزهد

هذا ولما كان الوحي من رب العالمين، رأينا أن نتكلم عن الوحي وأقسامه بإيجاز، حتى يتضح المقام، ويتبين لنا الفرق بين الإلهام والوحي، وصلة كل منهما بالآخر، فنقول وبالله التوفيق

الوحي وأقسامه :

الوحي يطلق ويراد منه الإيحاء، ويطلق ويراد منه الموحى به [52]، والذي يعنينا في هذا المقام هو معناه الأول وهو الإيحاء

فالوحي بمعنى الإيحاء هو الإعلام بالشيء على وجه الخفاء والسرعة، ولذا كانت الكتابة والإشارة والرمز والإلهام والكلام الخفي من قبيل الوحي عند أهل اللغة [53].

ومعناه في لسان الشرع إعلام الله لأنبيائه ما يريد إبلاغه إليهم من الشرائع والأخبار، بحيث يحصل عندهم علم ضروري قطعي بأن ذلك من عند الله تعالى فهو أخص من المعنى اللغوي باعتبار مصدره وهو الله سبحانه ومورده وهم أنبياؤه الكرام[54].

أقسامه :

إعلام الله لأنبيائه ما يريد، يقع على أحوال ثلاثة أشار إليها القرآن الكريم قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم) [55]، وإليك بيانها

(52) وينقسم إلى متلو، وإلى غير متلو، فالمتلو القرآن الكريم الذي جعله الله آية باهرة، ومعجزة خالدة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وغير المتلو السنة النبوية التي نزلت بطرق الوحي السابقة في المنام أو اليقظة بواسطة الملَك أو غيره

(53) لسان العرب جـ6 : 412، القاموس المحيط ص 1231.

(54) الحديث والمحدثون ص 12.

(55) سورة الشورى الآية (51).

أولاً : الإعلام بطريق الإلهام، وهو إلقاء المعنى في قلب النبي دفعة مع العلم اليقيني بأن ذلك من الله تعالى

وقد يكون هذا الإلهام في المنام (الرؤيا) كما يكون في اليقظة (النفث في الرُّوع) وهذا النوع من الوحي هو المراد من قوله تعالى (إلا وحياً) بدليل مقابلته بالقسمين.بعده

ثانياً : الكلام من وراء حجاب أي بدون رؤية النبي لربه عز وجل [56] وقت التكلم، بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما حصل ذلك لموسى عليه السلام في بَدْء رسالته وقد رأى ناراً فقال لأهله امكثوا (فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك) [57] وكما حصل ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج عند فرض الصلاة عليه وعلى أمته ومراجعته ربه فيها على ما صرحت به الأحاديث الصحيحة

ثالثاً : إعلام الله للنبي ما يريد أن يبلغه إليه بواسطة المَلَك في اليقظة أو المنام ، فتارة يشاهد الملك على صورته الحقيقية وهذا نادر، وتارةً يتمثل له في صورة بشر – كتمثله أحياناً في صورة دحية الكلبي – وتارة لا يرى النبي الملك عند الوحي وإنما يسمع عند قدومه دوياً وصلصلة شديدة مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه صلى الله عليه وسلم.

بعد هذا كله نجد أن الإلهام يشكل مصدراً معرفياً أساسه إخلاص القلب، ونقاء الجوهر، وصفاء الفطرة، واستعدادها لتلقي الهداية الربانية ، وهو محل إقرار وتسليم من علماء السلف

---

(56) اختلف السلف والخلف في رؤية النبي لربّه عزّ وجَلّ فالبعض على أنه لم يرَ الله سبحانه، وحكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً من الصحابة والبعض الآخر على أنه رأى ربّه عزّ وجلّ ينظر تفصيل ذلك فتح الباري ج 1 : 171، مدارج السالكين ج 3 : 216.

(57) سورة طه الآية (11 – 12).

يقول ابن تيمية (فأولياء اللّه المتقون هم المقتدون بمحمد صلى اللّه عليه وسلم فيفعلون ما أمر به، وينتهون عمّا زجر عنه، فيؤيدهم اللّه بملائكته وروح منه، ويقذف اللّه في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم اللّه بها أولياءه المتقين) [58].

فشيخ الإسلام يقر بوجود الإلهام الرباني، والكرامة للأولياء والصالحين

وهذا الإلهام الصحيح لا بد له من ضوابط شرعية يوزن به ا لتقدير كونه كرامة من اللّه أو إضلال من الشيطان.

يقول البسطامي (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود والشرع) [59].

ويقول حجة الإسلام الغزالي (لو رأيت إنساناً يمشي على الماء، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع؛ فاعلم أنه شيطان) [60].

فالإنسان المؤمن يسعى إلى تحقيق ذاته، ويسمو إلى رياضة نفسية روحية تخلق فيه إرادة فعالة وشخصية ثابتة ، والتصوف الأصيل كفيل بذلك لأنه في جوهره يرنو إلى إصلاح القلوب، وتصفية الأخلاق، وتهذيب النفوس بالإيمان الصحيح، وبالتقوى والاستقامة، وهي أمور عزيزة في أيامنا هذه [61].

(فالواجب على جميع أولياء اللّه تعالى الاعتصام بالكتاب والسنة، فإنه ليس فيهم من يلقى إليه في قلبه ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، وهذا

(58) مجموع الفتاوى جـ11 : 274.

(59) سير أعلام النبلاء جـ13 : 86 – 89.

(60) ميزان العمل ص 213.

(61) قواعد الصوفية ص 11.

مما اتفق عليه جميع أولياء اللّه، ومن خالف فيه فليس منهم في شيء، بل إنه إما أن يكون كافراً مارقاً، أو مفرطاً في الجهل) [62].

فإذا تقرّر هذا الطريق فهو الصواب، وعليه يرب ي المربي، وبه تُعلّق همم السالكين، تأسياً بسيد المتبوعين رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو أقرب إلى الخروج عن مقتضى الحظوظ، وأولى برسوخ القدم، وأحرى بأن يُتابع عليه صاحبه، ويقتدى به فيه، واللّه أعلم)[63].

وجملة القول أن الإلهام يتم بثلاث طرق :

أحدها : الحدس، والاجتهاد، والاستدلال، والاستبصار، وهو طريق العلماء

والثاني : الإلهام، والاستغراق في التأمل الباطني، وهو طريق الأولياء

والثالث : الوحي، وهو نوع من المعرفة فوق الإلهام يدرك معه المرء كيف حصل له العلم، ومن أين حصل ؟ وهو طريق الأنبياء [64].

المبحث الرابع

حكم الإلهام عند الأصوليين والصوفية ودلالته

اتفق أهل العلم قاطبة على أن إلهام الرسول صلى اللّه عليه وسلم حجة قطعية، وهو نوع من أنواع الوحي

وأما إلهام غيره من أفراد أمته فقد اختلف العلماء في اعتباره من الأحكام الشرعية، وعدم اعتباره إلى ثلاثة أقوال

(62) أضواء البيان جـ4 : 159، المطابع الأهلية، الرياض 1403هـ

(63) الموافقات جـ2 : 202.

(64) المعجم الفلسفي جـ2 : 231.

القول الأول :

أن الإلهام خيال لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح، وهذا قول جمهور العلماء [65]، وهو اختيار تاج الدين السبكي من الشافعية [66]، وابن الهمام من الحنفية [67]، والقاضي أبو يعلى من الحنابلة [68].

كما ذهب كثير من فقهاء الصوفية المتأخرين إلى عدم حجية الإلهام ، قال الألوسي (وممن صرّح بأن الإلهام ليس بحجة من الصوفية الإمام الشعراني، وقال قد زلّ في هذا الباب خلق كثير فضلوا وأضلوا) [69].

واحتج هؤلاء بحجج كثيرة منها :

1 – قال اللّه تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [70] فألزمهم الكذب بعجزهم عن إظهار الحجة؛ لأن الإلهام حجة باطنة؛ فلا يمكن إظهارها ، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء[71].

2 – وقوله تعالى (ومن يدع مع اللّه إلهاً آخر لا برهان له به) [72] فقد وبَّخهم بدعوى إلهٍ غير اللّه لا برهان لهم به، ولو كانت شهادة قلوبهم حجة لهم لما لحقهم

---

(65) ينظر قواطع الأدلة في الأصول ق 290 أ

(66) ينظر جمع الجوامع بشرح المحلى جـ2 : 372.

(67) ينظر تيسير التحرير جـ4 : 185، مسلم الثبوت جـ2 : 371.

(68) ينظر جامع العلوم والحكم ص 446.

(69) روح المعاني جـ16 : 17.

(70) سورة البقرة الآية (111).

(71) قواطع الأدلة ق 290 ب، أجوبة الإمام الزرقاني ص 72 ومثاله الخضر – على قول من قال أنه نبيّ – بأنه أخبر موسى نبي اللّه بالجدار والسفينة وقتل الغلام على ما حكاه القرآن الكريم في سورة الكهف

(72) سورة المؤمنون الآية (117).

التوبيخ؛ فثبت أن الحجة التي يصح العمل بها ما يمكن إظهاره من النصوص والآيات التي عرفت حججاً [73].

ويدل عليه قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [74]، وهذا يدل على أن العلم بالله تعالى لا يكون إلا بالآيات، والآيات لا تدل إلا بعد الاستدلال بها عن نظر عقلي بدليل قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) [75]، وقوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) [76]، وقوله (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت) [77]، فالله تعالى أمر بالنظر والاستدلال، ولم يأمر بالرجوع إلى القلب [78].

3 – واستدلوا بقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) [79]، ونحوه من الآيات التي تمنع العمل بغير العلم [80].

لكن الاستدلال بهذه الآيات لا يتم إلا بإنكار حصول ما ادّعاه أنصار وجوب العمل بالإلهام من العلم القطعي الضروري، لأنهم حينما يرون حصول العلم الضروري بالإلهام لا يحسبون أنفسهم مخالفين للعمل بهذه الآيات، ولا آخذين بالظن (مع وجوب العمل بالظن في كثير من المواضع بأدلة أخرى) [81].

---

(73) قواطع الأدلة ق 290 ب

(74) سورة فصلت الآية (53).

(75) سورة الذاريات الآية (21).

(76) سورة الحشر الآية (2).

(77) سورة الغاشية الآية (17 – 20).

(78) قواطع الأدلة ق 290 ب

(79) سورة الإسراء الآية (36).

(80) ينظر فصول البدائع جـ2 : 391.

(81) الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر ص 484.

4 – قوله صلى اللّه عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن قاضياً (بم تقضي ؟ قال بكتاب اللّه قال فإن لم تجد في كتاب اللّه ؟ قال فبسنة رسول اللّه قال فإن لم تجد في سنة رسول اللّه ؟ قال أجتهد رأيي) (82) فلم يذكر بعد الكتاب والسنة إلهام القلب، وإنما ذكر الرجوع إلى النظر والاستدلال

5 – ما رواه الترمذي أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال (ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (83).

وفي لفظ (من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ) (84) فتفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل حرام لا يجوز تعاطيه، ولهذا تحرّج السلف عن تفسير ما لا علم لهم به

قال أبو المظفر السمعاني (وأجمعنا على أنه يجوز برأي النظر والاستدلال بالأصول؛ فدلّ أن المراد به الرأي بلا.نظر

ولأن الرأي بلا نظر لو كان حجة يعمل بها – كالوحي – لحل لكل إنسان أن يدعو الخلق إلى ما عنده، بل وجب كما وجب على نفسه العمل به، وكما كان يجب على النبي صلى اللّه عليه وسلم. قال أبو زيد الدبوسي ومن قال بهذا، فقد كفر) (85).

---

(82) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج 5 : 242، وأبو داود في سننه ج 3 : 303 في الأقضية، والترمذي في سننه ج 3 : 616 في الأحكام قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل وقد ردّ هذا الحديث ابن حزم ينظر الأحكام ج 6 : 35، لكن لشهرة هذا الحديث وتداوله عند الأصوليين تلقاه سائر علماء الأمة بالقبول عند الأكثر لتدل على ثبوت معناه وصحته كما قال الخطيب البغدادي وغيره ينظر الفقيه والمتفقه ج 1 : 188، أعلام الموقعين ج 1 : 183.

(83) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ 1 : 233، والترمذي في سننه جـ 5 : 199 في تفسير القرآن وقال حسن صحيح من حديث ابن عباس

(84) أخرجه الترمذي في سننه جـ5 : 200.

(85) قواطع الأدلة ق 291 أ

6 – واحتجوا بانعقاد الإجماع على عدم دعوى من يدعي النبوة إلا بدليل المعجزة، التي يُعلم بها النبيّ من المتنبِّئ [86]، ويلزم منه عدم قبول دعوى من يدّعي الإلهام إلا بدليل القرآن والسنة، يميّزه عن إلقاء الشيطان وأحاديث النفس [87].

إلا أن هذا الدليل لا ينفي عدم حجية الإلهام نفياً مطلقاً، بل ينفي حجيته على غير الملهم فقط، فلا يثبت جميع أجزاء الدعوى

7 – واستدل القفال بأنه (لو تثبت العلوم بالإلهام، لم يكن للنظر معنى، ونسأل القائل بهذا عن دليله، فإن احتج بغير الإلهام فقد ناقض قوله) [88].

وردّ بأنّ مدّعي حجية الإلهام لا يحصر الأدلة في الإلهام، فلا يناقض استدلاله بغير الإلهام دعواه [89]، وليس في الأخذ به إهمال للنظر والبرهان، ولا مانع من إثباته بالأدلة الأخرى

8 – وأيضاً لا دليل على كون ما أُلهم به من الله تعالى [90]؛ لأنه لا يؤمَن عليه من دسيسة الشيطان ووساوسه، وما هذا شأنه، لا يحتج به، فالإلهام لا يحتج به

فإن قيل إن الدليل على كونه من الله تعالى هو العلم الضروري الذي خلق في قلب الملهم بأنه من الله تعالى

أجيب بأن ما يحسبه من الله تعالى بالضرورة قد يكون من الشيطان في الواقع، لأنه ليس بمعصوم، ولا بمأمون مكيدة الشيطان، لذلك لا يحتج به إلا بتعضيد من القرآن والسنة [91].

---

(86) ينظر فصول البدائع جـ2 : 391.

(87) ينظر إرشاد الفحول جـ2 : 1019، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر ص 485.

(88) إرشاد الفحول جـ2 : 1019.

(89) المصدر نفسه

(90) ينظر التحرير جـ4 : 185، مسلم الثبوت جـ2 : 371.

(91) ينظر فصول البدائع جـ2 : 391، جمع الجوامع بشرح المحلى جـ2 : 356، تيسير التحرير جـ4 : 185.

القول الثاني :

أن الإلهام حجة وهو بمنزلة الوحي المسموع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا القول لبعض الحِبِّيَّة من الصوفية [92].

وفرّق القائلون بحجية الإلهام من الصوفية بين الإلهامين إلهام الولي، وإلهام النبي، فقالوا بأن إلهام الولي لا يكون إلا موافقاً لما جاء به نبيهم، ولا يتلقّون العلم إلا بواسطة روح النبي المتبوع، ولا كذلك إلهام النبي، فإنه لا يشترط لقبوله موافقة شريعة غيره، بل يكون ناسخاً لشرع من تقدمه فيما إذا خالفه [93]

واستدلوا على ذلك بأدلة، منها

1 – قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) [94] أي : تفرقون به بين الحق والباطل [95]

وهذا يشمل التفرقة بين الحق والباطل، بالاستدلال على طريقة أهل الظاهر، وبالذوق على طريقة أهل الباطن بخلق العلم الضروري في القلب، إلا أن الإشكال في النوع الأخير هو في أن غيره لا يعرف صحة ما يدعيه من خلق علم ضروري في قلبه، وفي أن الإنسان مهما بلغ من الدرجات يتعرض لوساوس الشيطان، و مكايد النفس

نعم، إذا كان للملْهَم قدمٌ ثابت في العلم، وطاعة لله، ثم لم يشك في إلهامه، لزمه العمل به فيما بينه وبين الله، أو هو النتيجة الحتمية بالنسبة له، بخلاف غيره؛ فإنه لا يقبله إلا بشاهدي عدل [96]

(92) ولعل الحِبِّيّة جماعة من الصوفية، فإن هذا المذهب منسوب إلى بعض أهل التصوف، وبعضهم يدعي أنه لا دليل سوى الإلهام ينظر تقويم الأدلة جـ2 : 767، قواطع الأدلة ق 290 أ، تيسير التحرير ج 4 : 185، ميزان الأصول ج 2 : 953.

(93) فواتح الرحموت جـ 2 : 371.

(94) سورة الأنفال الآية (29).

(95) إرشاد الفحول جـ 2 : 1017.

2 – قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام، فهو على نور من ربه)[97] فإنه أوِّل بالإلهام [98]

3 – قال الله تعالى (ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً). [99] فإن عجز الآية يدل على كون المؤمن على نور من ربه، وهو المعرفة والهداية، ومن أسبابهما الإلهام [100]

قال صاحب فصول البدائع [101] : بعد ذكره هذين الدليلين – أن ذلك مسلّم، إذا ثبت كون ما ألقي في القلب من الله تعالى، أو من الملَك

أما الآية الأولى فمعناها إن من جعل الله عز وجل قلبه مستعداً لقبول الإسلام، واهتدى بهديه، ليس كمن قسا قلبه عن ذكر الله، بحيث لا ينفذ فيه الحق، فإن الأول على نور من ربه نور المعرفة والهداية، دون الثاني فإنه يعيش في ظلمات الجهل والضلالة، وهذا هو حال كل مسلم وكافر، إلا أن المسلمين متفاوتون في درجات المعرفة والهداية تفاوت استرشادهم بالدين والعمل بأحكامه، لكنه من المحال معرفة من وصل إلى درجة جعل الله الحق على قلبه ولسانه، لغيره من الناس، حتى يجب عليه العمل بإلهاماته، ويجعل فهمه وذوقه معياراً لدرك الحكم الشرعي

ومعنى الآية الثانية أن من هداه الله إلى الإسلام، وجعل له نوراً من المعرفة والهداية وهو متمكن من السير على ضوء ذلك النور في حياته، ليس كمن يعيش وسط ظلمات الجهل والضلالة، بحيث أصبح جهله وضلاله كأنهما

---

(96) الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر ص 486.

(97) سورة الزمر الآية (22) وتمامها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين)

(98) فصول البدائع جـ 2 : 391.

(99) سورة الأنعام الآية (122) وتمامها (يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون).

(100) فصول البدائع جـ 2 : 391.

(101) جـ2 : 391.

ذاتيان من ذاتياته، لا يفارقانه، فإن المسلم يفوز برضى الله تعالى، وبالنعيم المقيم في الآخرة، دون الكافر؛ فإنه يهوي به كفره في جهنم وساءت مصيراً

وهذا الوصف ينطبق على كل مسلم ومؤمن، في مقابل الكفرة، إلا أنه – كما وضحنا في الآية السابقة – لا يدل على حجية ما اعتبره البعض إلهاماً على غيره [102]، والله أعلم

4 – قال الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) [103] وشرح الصدر بنور العلم، والحرج والضيق بظلمة الجهل، فالله تعالى أخبر أنه الجاعل لذلك بلا واسطة، ولا صنع من العبيد [104]

5 – قال الله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) [105] أي عن كل ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه [106]

إلا أن الآية إن دلت على كشف الأحكام الشرعية لبعض العباد، وعلى وجوب العمل بها على الملهَم، لم تدل على وجوب العمل بها لغيره، ولا على إيجاب تصديق من يدّعي ذلك عليه [107].

6 – قال الله تعالى (واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم) [108] فإنه دلّ على أن من زكى نفسه، وسلّم قلبه لله تعالى بترك المنهيات، وامتثال المأمورات، تحصل له العلوم الدينية [109].

---

(102) تفسير الرازي جـ13 : 173.171 وجـ26 : 265ومابعدها

(103) سورة الأنعام الآية (125)، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقيل كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال (نور يقذف فيه، فينشرح له، وينفسح ..) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي جعفر المدائني ينظر فتح القدير ص555.

(104) قواطع الأدلة ق 290 أ – 290 ب

(105) سورة الطلاق الآية (2).

(106) إرشاد الفحول جـ2 : 1017.

(107) الاجتهاد ص 487.

إلا أن الاستدلال بالآية لو صحّ لما تعدّى إيجاب العمل بالإلهام على الشخص نفسه – كما بيناه في الآية السابقة – كيف وأنه لا يصح، لأن الآية ما علّقت التعليم بالتقوى، وكلتا الجملتين (واتقوا اللّه)، (ويعلمكم اللّه) تامّتان، فصل بينهما بالواو

والحق أن المراد بالتعليم هو بيان الشارع لهم الأحكام الشرعية في كتابه العزيز بقرينة كون هذه الآية من آية المداينة التي فيها بيان بعض أحكام الشرع من الإشهاد وكتابة الدين وغير ذلك [110].

7 – واستدلوا بقوله تعالى (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها) [111] أي عرّفها بالإيقاع في القلب [112]، وأن اللّه أخبر بأن النفوس ملهمة [113].

قال فخر الدين الرازي في معنى الآيتين أن اللّه تعالى ألهم النفس طريق التقوى والفجور أن أحدهما حسن، والآخر قبيح، ومكّنها من اختيار ما شاء منهما، وذلك من قبيل (وهديناه النجدين) [114].

أو معناهما أن اللّه تعالى خلق في المؤمن التقي تقواه، وفي الكافر الفاجر فجوره، وذلك من قبيل (واللّه خلقكم وما تعملون) [115] فلا دلالة فيهما على الدعوى، ولو دلّتا على وجود الملهمين وأنهم ملزمون العمل به – وذلك بإضافة

---

(108) سورة البقرة الآية (282).

(109) إرشاد الفحول جـ2 : 1017.

(110) الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه ص 488.

(111) سورة الشمس الآيتان (7 – 8).

(112) قواطع الأدلة ق 290 أ

(113) إرشاد الفحول جـ2 : 1018.

(114) سورة البلد الآية (10).

(115) سورة الصافات الآية (96).

مقدمة لا فائدة من العلم إلا العمل بمقتضاه – لما دلّنا على وجوب العمل على غيرهم بإلهامهم [116].

8 – واستدلوا بأمر اللّه عز وجل موسى عليه السلام باتباع الخضر مع أن موسى نبي مرسل، وكان الحق بجانب الخضر فيما اختلفا فيه من المسائل، وانقاد له موسى فيما عرفه بالإلهام

وردّ بأنه لا خلاف فيما إذا أمر اللّه عز وجل أحداً بمتابعة بعض أصفيائه والتعلم منه، ولا يمكن ذلك لغير الأنبياء [117].

9 – واستدلوا بقوله عز وجل (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [118] وكان ذلك بطريق الإلهام [119].

وأجيب بأن هذه الآية تدل على وجود الملهمين بين الناس، وعلى أنهم عملوا بذلك، إلا أنها لا تدل على أن غيرهم ملزمون بالعمل بإلهامهم، فالدليل لا يثبت الدعوى كاملاً

قال أبو مظفر السمعاني (وأما وحي أم موسى، فأمر نقول به، وبيانه أن أم موسى خافت على موسى القتل من فرعون لما ظهر من سنته، ومن خاف على نفسه الهلاك حلّ له إلقاء نفسه في البحر إن رجا فيه النجاة بوجهٍ، وراكب السفينة إذا ابتلي بالغرق حل له ركوب لوح في البحر، ولأن من ابتليَ بشرّين لزمه اختيار أهونهما، فقد فعلت الذي فعلت بالنظر ، ومعنى الوحي هو إلقاء النظر في قلبها) [120].

---

(116) ينظر تفسير الرازي جـ11 : 177، الاجتهاد ص 489.

(117) ينظر فصول البدائع جـ2 : 392، وينظر ما قاله الشاطبي ص 18.

(118) سورة القصص الآية (7).

(119) قواطع الأدلة ق 290 ب، إرشاد الفحول جـ 2 : 1017، تفسير القرطبي جـ 13 : 166، أجوبة الإمام الزرقاني ص 67.

(120) قواطع الأدلة ق 291 ب

10 – واستدلوا بقوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل)[121] يعني ألهمها، حتى عرفت مصالحها، فلا ينكر مثل ذلك للآدمي بطريق الأولى[122].

وردّ بأن تلك الآية أبعد من أن تثبت بها الدعوى، إذ لا يلزم من كون الحيوان ملهماً، وكونه يعمل به، أن يكون الإنسان كذلك، لبعد المسافة بين عالم الإنسان وعالم الحيوان

قال أبو المظفر (وأما وحي النحل، فإنما أنكرنا مثل ذلك في علمٍ خوطبنا بكسبه وابتلينا به)[123].

11 – واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم :(ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة)[124] أي على دين الحق، وليس للمولود نظر ولا استدلال[125].

أجيب بأن الآدمي يُخلق وعليه أمانة الله التي قَبلها آدم عليه السلام، فيكون على فطرة الدين ما لم يخن فيما عليه من الأمانة، وكان على عذر في ترك الأداء عن عجز على ما هو وارد في باب حمل الأمانة[126].

12 – واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم)[127] أي ملهَم – بفتح الهاء – كأنه يوحى إليه ويحادثه ربه، أو تحدثه الملائكة في قلبه[128].

---

(121) سورة النحل الآية (68).

(122) قواطع الأدلة ق 290 ب، وينظر تفسير القرطبي جـ10 : 88.

(123) قواطع الأدلة ق 291 ب

(124) متفق عليه ينظر صحيح البخاري جـ 3 : 174، 179، 199، في الجنائز، مع الفتح، وصحيح مسلم ص1127 رقم 2658، في القدر عن أبي هريرة

(125) قواطع الأدلة ق 290 ب

(126) المصدر نفسه ق 291 ب

(127) سبق تخريج الحديث ص6.

(128) قواطع الأدلة ق 290 ب

قال ابن وهب في تفسير محدَّثون ملهمون [129].

وقال صاحب نهاية الغريب جاء في تفسير الحديث أنهم الملهمون، والملهم هو الذي يُلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً وفراسة، وهو نوع يخص الله به من يشاء من عباده، كأنهم حُدِّثوا بشيء فقالوه

وقد رُوي عن إبراهيم بن سعد أنه قال في الحديث يعني يلقى في روعه [130].

وقال البيهقي في (شعب الإيمان) : هذا محمول على أنه يعرف في منامه من علم الغيب ما عسى أن يحتاج إليه، أو يحدَّث على لسان الملك بشيء من ذلك، كما ورد في بعض طرق الحديث بلفظ وكيف يُحدِّث ؟ قال (يتكلم الملك على لسانه)

وهذا الحديث لا يدل على وجوب العمل على كل أحد سمع ذلك من الملهم؛ فالدليل لا يثبت جميع أجزاء الدعوى

13 – واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل) [131].

والفراسة شيء تقع في القلب بلا نظر في حجة [132]، تظهر لبعض الصالحين من كشوف حقانية [133].

قال الفناري (وهذا في العمل به في حق نفسه) [134].

---

(129) ينظر صحيح مسلم ص 1039، برقم 2398.

(130) إرشاد الفحول جـ2 : 1019.

(131) أخرجه الترمذي في سننه جـ8 : 555، باب تفسير سورة الحجر من حديث أبي سعيد الخدري مع التحفة، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ 1 : 240، وفي جـ2 : 73 بلفظ (إياكم وفراسة العلماء، فإنهم ينظرون بنور الله)

(132) قواطع الأدلة ق 290 ب

(133) فصول البدائع جـ2 : 392.

(134) المصدر نفسه

وقال الدبوسي (وأما كرامة الفراسة، فلا ننكرها أصلاً، ولكنا لا نجعل شهادة القلب حجة، لجهلنا أنها من الله تعالى، أو من إبليس، أو من نفسه، وأما قول الصحابة فلم يثبت منهم قول إلا عن نظر واستدلال) [135].

وقال أبو العباس أحمد بن محمد رزوق (الفراسة الشرعية نور إيماني ينبسط على القلب، حتى يتميز في نظر صاحبه حالة المنظور فيه من غيره، بل يميز أحواله في النظر إليه، بحسب أوقاته، ولكل مؤمن منها نصيب لكن لا يهتدي إلى حقيقتها إلا من صفا قلبه من الشواغل والشواغب، ثم هو لا يقبل الخاطر منها إلا بعد تردده مرة في البداية، وبعد اعتياده على حسب اعتياده، وإليها الإشارة بقوله عليه السلام (كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر منهم)،

والفراسة الحكمية اعتبار بواطن الأشخاص بظواهر الحواس

وفائدة كل منهما الالتفات لما دلّ عليه فيحذر، أو يعامل، لا الجزم في الحكم، إذ لا يفيد قطعاً ولا ظناً ينزل منزلته، والله تعالى أعلم) [136].

14 – وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال (ألقى في روعي أن ذا بطن بنت خارجة أراها جارية) [137] والإلقاء الإلهام [138].

15 – وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه تكلّم في أشياء، فنزل الوحي بذلك [139]، وقد كان أُلهم قبل نزول الوحي [140].

---

(135) تقويم الأدلة جـ2 : 787.

(136) قواعد التصوف ص 98 – 99، بتصرف، وينظر شرح الزرقاني جـ 4 : 452، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت، 1411هـ، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه ص 491.

(137) وهذا النوع من الكشف الرحماني والقصة أن أبا بكر الصديق نحل ابنته عائشة شيئاً ثم مرض قبل أن تقبضه قال فيه وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت فقلت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى، قال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، ينظر الموافقات جـ 4 :51.

(138) قواطع الأدلة ق 290 ب

وكذلك مناداته لقائد جنده سارية الذي يجاهد بأرض فارس، وهو يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة [141].

أجيب بأن ما ذكر عن الصحابة أو ما يذكر عنهم بسند صحيح يفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً وعلماً بالله تعالى، وقوة فيما هم عليه، ولكن لا ينبني عليها حكم، لجواز الخطأ، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم، فلا يثبت جميع أجزاء الدعوى [142].

16 – واستدلوا بقوله عليه السلام لوابصة بن معبد – وقد سأله عن البر والإثم – (ضع يدك على صدرك فما حاك في قلبك فدعه، وإن أفتاك الناس وأفتوك) [143]، وما في معناه [144]، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة قلبه حجّة مقدَّمة على الفتوى

أجيب عن ذلك بأن هذا الاستدلال مردود، وتحريف للكلم عن مواضعه [145].

---

(139) ومن نماذج الموافقات العمرية ما أخرجه مسلم في صحيحه ص 1039، برقم 2399 (قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر) وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين كما ذكر ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء ص 135 وما بعدها طبعة دار التعاون – مكة المكرمة

(140) قواطع الأدلة ق 290 ب

(141) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ 11 : 318، مدارج السالكين جـ 3 : 215، تاريخ الخلفاء ص 139 وما بعدها

(142) ينظر الموافقات جـ4 : 52 – 53.

(143) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ 4 : 227 – 228، وحسنه النووي في رياض الصالحين ص 223، رقم 591.

(144) مثل حديث أبي ثعلبة الخشني قلت يا رسول الله أخبرني ما يحل لي، وما يحرم علي ؟ فقال (البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ4 : 194، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 444 أيضاً حديث النواس بن سمعان الأنصاري (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس) أخرجه مسلم في صحيحه ص 1025 رقم 2553.

(145) موقف الإسلام من الإلهام ص 47.

أولاً لأن الحديث – كما نقل المناوي عن الغزالي – لم يردّ كل أحد لفتوى نفسه، وإنما ذلك لوابصة في واقعة تخصّه ([146]).

أي أن الحديث لم يجئ بلفظ عام، بحيث يؤخذ منه قاعدة عامة، بل جاء في واقعة معينة لشخص معيّن، ووقائع الأعيان لا عموم لها، كما هو مقرر في علم الأصول

ثانياً على فرض العموم، فموضع هذا فيما لا نص فيه ولا حجة شرعية، وإلا وجب اتباع الشرع، قال تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) [147]، وقال (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [148] فكيف يوجب اللّه تعالى سؤالهم، ثم نترك أجوبتهم وفتاواهم إلى فتاوى قلوبنا ؟ وقال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللّه والرسول) [149] ولم يقل ردّوه إلى خواطركم وأحاديث قلوبكم.

ثالثاً أن المفتي يبني فتواه على ظاهر الحال كما يعرضه له السائل، وقد يكون هناك أمور خفيّة لا يطّلع عليها، لعله لو عرفها لغيَّر فتواه، والمستفتي هو الذي يعرفها، ولذلك تظل نفسه قلقة غير مطمئنة بما ألقي إليه من فتوى، ففتوى المفتي هنا مثل قضاء القاضي، الذي يحكم بالظاهر، ويقضي على نحو ما يسمع، ولكنه لا يجعل الحرام حلالاً لمن استقضاه إذا كان ألحن بحجّته من خصمه صاحب الحق

وبهذا يكون الاستدلال بالحديث على حجية الخواطر والإلهامات في مواجهة أدلة الشرع، استدلالاً باطلاً

---

(146) فيض القدير جـ1 : 495.

(147) سورة الأعراف الآية (3).

(148) سورة النحل الآية (43).

(149) سورة النساء الآية (59).

يقول ابن رجب في شرحه لحديث وابصة (فدلّ حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه، فما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البرّ والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام) [150].

ويقول أيضاً في حديث النواس بن سمعان (إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً، فلم ينشرح له الصدر، ومع هذا فهو عند الناس مستنكر، بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما أنكره الناس على فاعله، وغير فاعله ومن هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)[151]) [152].

وتعقب ابن رجب حديث وابصة، وأبي ثعلبة فقال (يعني أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم، وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم، فهذه مرتبة ثانية، وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضاً إثماً، وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شُرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن، أو ميل إلى هوىً، من غير دليل شرعي فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي، فالواجب على المستفتي الرجوع إليه، وإن لم ينشرح صدره، وهذا كالرخص الشرعية، مثل الفطر في السفر، والمرض، وقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك، مما لا ينشرح به صدور كثير من الجُهَّال، فهذا لا عبرة به

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً يأمر الصحابة بما لا تنشرح به صدور بعضهم فيمتنعون عن فعله، فيغضب من ذلك، كما أمرهم بفسخ الحج

(150) جامع العلوم والحكم ص 444.

(151) روي هذا الحديث من طرق عن ابن مسعود موقوفاً كما عند أحمد في مسنده جـ 1 : 379، والبغوي في السنة ص 105، والخطيب في الفقيه والمتفقه ص 445 – 446.

(152) جامع العلوم والحكم ص 444.

إلى العمرة، فكرهه من كره ه منهم، وكما أمرهم بنحر هَدْيهم والتحلّل من عمرة الحديبية فكرهوه، وكرهوا مفاوضته لقريش على أن يرجع من عامه، وعلى أن مَن أتاه منهم يرده إليهم [153].

وفي الجملة فما ورد النص به، فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) [154] وينبغي أن يتلقى ذلك بانشراح الصدر والرض ى، فإن ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به والتسليم له، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [155].

وأما ما ليس فيه نص من الله ولا رسوله، ولا عمّن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان، والمنشرح صدره بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحكَّ في صدره لشبهة موجودة، ولم يجد من يُفتي له فيه بالرخصة، إلا من يخبر عن رأيه، وهو ممن لا يُوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حكّ في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون، وقد نص الإمام أحمد على مثل هذا) [156].

وأضاف الشوكاني معنى آخر في حديث (استفت قلبك) وهو أن ذلك في الواقعة التي تتعارض فيها الأدلة [157].

ونُقل عن الغزالي أنه قال (واستفتاء القلب، إنما هو حيث أباح المفتي، أما حيث حرّم فيجب الامتناع، ثم لا نقول على كل قلب، فربَّ موسوسٍ ينفي كل شيء،

(153) ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم 2731، 2732.

(154) سورة الأحزاب الآية (36).

(155) سورة النساء الآية (65).

(156) جامع العلوم والحكم ص 444 – 445.

(157) إرشاد الفحول جـ2 : 1019.

وربَّ متساهل يطير إلى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين، وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق لدقائق الأحوال، فهو المحكُّ الذي تمُتحن به حقائق الأمور، وما أعزّ هذا القلب) [158].

وقال الفناري (هو للعمل له، لا أن يدعو الناس إليه، ولا نزاع فيه) [159]. أي لا نزاع في أن يعمل به في حق نفسه

17 – واستدلوا بأن أنبياء بني إسرائيل كان لهم إلهام يتكلمون عنه، وينزل ذلك منزلة الوحي إلى غيرهم

وقالت الأمة فيمن اشتبهت عليه القِبلة، فصلَّى بغير تحرٍّ بقلبه لا يجوز وإن أصاب القبلة، وإن صلّى بتحري قلبه تجوز صلاته، وإن أصاب غير القبلة

قالوا فثبت أن الإلهام حق من قبل اللّه تعالى، وأنه كرامة للآدمي، وأنه وحي باطن إلا أنه إذا عصى ربه وعمل بهواه يُحرم هذه الكرامة، ويستولي عليه وحيُ الشيطان، قال اللّه تعالى (إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) [160]، وبالقلب يمتاز له الحق من الباطل

أجيب عن ذلك بأن المطيع لا يخفى عليه وحيه عن وحي الملَك إلا على سبيل الغفلة التي تعتري القلب فيزلّ ثم يتنبّه من ساعته ولا يقرّ عليه [161].

18 – واستدلوا بالترجيح بين القياسين المتعارضين بشهادة القلب، وكذلك أنواع التحريات في اختلاط الحلال والحرام، والنجس بالطاهر

ردّ بأنّ التحري ليس من الإلهام المخصوص بالعدل التقي، بل دليل ضروري لا يُعمل به إلا عند العجز عن التمسك بأسباب العلم، وهو مشروع في حق الصالح والطالح [162].

(158) المصدر نفسه

(159) فصول البدائع جـ2 : 392، الاجتهاد ص 492.

(160) سورة الأنعام الآية (121).

(161) ينظر الدليل والرد عليه قواطع الأدلة ق 290 ب

القول الثالث :

ذهب إلى الفصل بين وجوب العمل به على الملهم نفسه، وعدم وجوبه على غيره.

وقال صاحب فواتح الرحموت لعل وجهه أنه لا يجب عليهم دعوة الخلق إلى العمل به من حيث أنه إلهامهم، ولا يجب على الخلق تصديقهم فيما ادّعوه إلهاماً – وإن كان حجة قاطعة في حدّ ذاته – والحجية فرع التصديق (163).

المبحث الخامس

بيان الراجح في المسألة

بعد هذا العرض المفصل لأقوال العلماء من الفقهاء والأصوليين والصوفية في هذه المسألة يترجح لديّ أن الإلهام مسألة ظنية، ولا ينبني عليها حكم شرعي، فقد يكون صادقاً، وقد يكون كاذباً مخالفاً لأوامر الشريعة

ولذلك صرّح مشايخ الصوفية المتبعون للكتاب والسنة، أن كل إلهام كان مخالفاً لأصول الدين والشريعة لا يعتد به

قال أبو سليمان الداراني إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل الكتاب والسنة (164).

وقال أبو الحسين النوري من رأيته يدعي مع الله حالاً تخرجه عن حدّ العلم الشرعي فلا تقربن منه (165).

---

(162) ينظر الدليل والجواب عنه فصول البدائع جـ2 : 392.

(163) جـ 2 : 371 وينظر أدلتهم أيضاً في أدلة القائلين بحجية الإلهام مثل الدليل الأول، والدليل الرابع، والدليل التاسع التي ساقوها

(164) مدارج السالكين جـ3 : 137.

(165) الاستقامة جـ2 : 95.

وقال أبو عثمان النيسابوري (من أمَّر السنة على نفسه قولاً وعملاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول في كتابه القديم (وإن تطيعوه تهتدوا) (166)) (167).

وقال السري من ادّعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم، فهو غالط

والجنيد البغدادي كان من أشد الأولياء المحاربين لأهل الانحرافات من المتصوفة، حيث قال مذهبنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به في هذا الشأن

وقال أبو محمد الحريري أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد أن تلزم قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائماً

وقال أبو حفص النيسابوري من لم يزن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعدوه في ديوان الرجال (168).

ويقول صاحب العقيدة النسفية (169): (أسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل، والإلهام ليس من أسباب المعرفة عند أهل الحق)

فهذه أقوال كبار الأولياء الصادقين أصحاب الخواطر والإلهامات، الذين أدركوا خطر انحرافات الخروج على الكتاب والسنة ولم يعتدُّوا بما خالف الكتاب والسنة

بل إن دعوى الإلهام بالنسبة لغير الملْهَم مجرد دعوى تحتاج إلى ما يثبتها، فضلاً عن أن يكون دليلاً شرعياً، وكلام أبي يزيد البسطامي نفسه من هذا القبيل حيث يقول لبعض علماء عصره ما المحدثون ؟ إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب

---

(166) سورة النور الآية (54).

(167) مجموع الفتاوى جـ1 : 210.

(168) ينظر هذه النقولات من قواعد الصوفية ص 77.

(169) ص.5 طبعة أولى 1320هـ، اسطنبول

وقد علّق الإمام الذهبي في ترجمته له بأنه رويت عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، وشكك في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حالة الدهشة والسكر والغيبة والمحقوطوى ولا يحتج بها[170].

2 – ألا يكفي كون أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم هي أفضل الأمم أن يكون فيها أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وكبار الأولياء والعلماء والملهمون من غير أن يجب على الأمة العمل بما يقال إنه إلهام دون أن يزنوه بميزان الكتاب والسنة، وقد دلّ القرآن الكريم على أفضلية هذه الأمة فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) [171].

3 – وخير ما أختم به هذا المبحث ، هذا الكلام النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية هو أن الراجح أن الإلهام لا يكون حجة ملزمة حتى لو صحّ في موافقته للشرع، لأنه إن كان منافياً للشرع أُهمل العمل به، وإن وافق الكتاب والسنة فإن العمل إنما يكون اتباعاً للكتاب والسنة وحكم الشرع، ويكون دور الإلهام والكشف هو إخبار الملهم بحكم اللّه، وليس إنشاء حكم جديد مضاف إلى الشرع، ويكون حينها كرامة لصاحبه أن اللّه قد كشف له ما جهل من أمر شرعه، وآتاه من لدنه علماً نافعاً يهتدي به ولا يهدي به من أحد ، ولا حرج عليه في ذلك، إذ ليس عليه البلاغ [172].

الخاتمة :

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

---

(170) ينظر سير أعلام النبلاء جـ 13 : 86 – 89، وأورد ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص 360 – 363 هذه الرواية عن البسطامي بلفظ آخر ثم علق عليها بقوله (أما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، أصلح ما ينسب إليه هذا القائل ما يدري ما في ضمن هذا القول، وإلا فهذا طعن في الشريعة)

(171) سورة آل عمران الآية (110)

(172) مجموع الفتاوى جـ10 : 477.

1 أرجح تعريفات الإلهام إيقاع شيء في القلب يُثلَج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من عباده

2 الصحيح أن الفراسة تُنال بالكسب والتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجرَّدة، ولا ننكر أنها زيادة نور من الله، كرامة للعبد، وزيادة نظر له

3 الصحيح أن مرتبة التحديث دون مرتبة الوحي الخاص، ودون مرتبة الصِّدِّيقين

4 الصحيح أن الإلهام من حيث الأصل جائز، وما استقام منه على شرع الله ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده، فهو مقبول بذاته ولا ينبني عليه حكم شرعي، وأما ما لم يستقم منه، فهو مردود، ويكون من تسويلات النفس ووساوس الشيطان، ويجب ردّه

5 أن لا ثمرة للعلم بما هو من العمليات إلا العمل بمقتضاه، وبذلك تثبت حُجِّية الإلهام على المُلْهَم نفسه في ما لم يخالف أدلة الشرع الثابتة، لأنه هو الذي يدرك هذه الحجة دون.غيره

6 ثم إن جواز العمل بما عَلِمه الإنسان عِلم يقين، لا يقبل المناقشة – على فرض وقوعه – ولا يمكن أن يُهمل جانب الاحتياط، ولا سيما في مثل هذا العلم، ولا يلزم مما قلناه عدم التعرُّض لكل من يدّعي الإلهام، فيكفينا ما عانيناه من أدعياء الكرامات وأشباه الصوفية ممن أفسدوا عقيدة المسلمين وشوهوا التصوف الحق، وقدموا صورة غير صحيحة عن مثالية الإسلام

وإلى هنا انتهى ما أردت جمعه في هذا الموضوع، فإن أصبت فيما صنعت فهذا فضل الله عليّ، وإن كنت قد أخطأت فمِن نفسي والشيطان، والله ورسوله والمؤمنون برآء منه، وأستغفر الله مما زلّ به القلم، وعزائي في ذلك أني لم أدّخر

وُسعاً في الوصول إلى ما هو الصواب ، وعلى الله قصد السبيل ، والحمد لله رب العالمين

ثبت بقائمة المصادر والمراجع :

1 أجوبة الإمام الزرقاني محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت 1122هـ) بتحقيقنا

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ) دار إحياء التراث العربي، ط أولى 1417هـ – 1996م، بيروت

3 أعلام الموقعين عن ربّ العالمين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ) دار الجيل، بيروت

4 إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1377هـ – 1957م، القاهرة

5 الإحكام في أصول الأحكام علي بن أحمد بن حزم (ت 456هـ) نشر : دار الحديث، ط أولى 1404هـ – 1984م، القاهرة

6 الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر. د سيد محمد موسى توانا مطبعة المدني، مصر

7 إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ) تحقيق سامي الأثري، دار الفضيلة، ط أولى 1421هـ – 2000م، الرياض

8 إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت 751هـ)

9 الاستقامة أحمد بن تيمية الحراني مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط أولى 1399هـ – 1979م، الرياض

10 التعريفات علي بن محمد الجُرجاني، دار الكتب العلمية، ط أولى 1403هـ – 1983م، بيروت

11 التفسير الكبير محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ثانية 1417هـ – 1997م، بيروت

12 تفسير الألوسي المسمى بروح المعاني محمود الألوسي (ت 1270هـ)، دار الفكر، بيروت

13 تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ) تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلمية، ط أولى 1420هـ – 2000م، بيروت

14 تقويم أصول الفقه، وتحديد أدلة الشرع (تقويم الأدلة) عبيد الله بن عمر الدبوسي (ت 430هـ) رسالة دكتوراه، مطبوعة على الآلة الكاتبة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة

15 تلبيس إبليس عبد الرّحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ) مطبعة النهضة، مصر

16 تيسير التحرير محمد أمين، المعروف بأمير بادشاه مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر

17 جامع العلوم والحكم عبد الرّحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب (ت 795هـ) تحقيق مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، ط أولى 1423هـ – 2002م، المنصورة

18 جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله يوسف بن عبد البر القرطبي، ط ثانية 1388هـ – 1968م

19 جمع الجوامع عبد الوهاب السبكي (ت 771هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة

20 الحديث والمحدثون محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، 1404هـ – 1984م، بيروت

21 الذريعة إلى مكارم الشريعة الحسين بن محمد الأصفهاني (ت 502هـ) تحقيق . د أبو اليزيد العجمي، دار الصحوة، القاهرة

22 الرسالة القشيرية عبد الكريم القشيري (ت 465هـ) مطبعة حسان، 1974م، القاهرة

23 رياض الصالحين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) تحقيق عبد العزيز رباح، مكتبة المعارف، ط ثالثة عشرة 1412هـ - 1992م، الرياض

24 سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت

25 سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط أولى، 1356هـ - 1937م، القاهرة

26 سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط عاشرة، 1414هـ - 1994م، بيروت

27 شرح العقائد النسفية مسعود بن عمر التفتازاني (ت 793هـ) مكتبة المثنى، 1400هـ - 1980م، بغداد

28 صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت

29 صحيح مسلم مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ) دار إحياء التراث العربي، ط أولى 1420هـ - 2000م، بيروت

30 العبودية أحمد بن تيمية الحراني (ت 728هـ) ط رابعة 1297هـ، بيروت

31 الفتاوى لابن الصلاح عثمان بن عبد الرّحمن الشهروزري (ت 643هـ) دار الكتب العلمية، بيروت

32 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ) دار ابن حزم، ط أولى 1421هـ – 2000م، بيروت

33 فصول البدائع في أصول الشرائع محمد بن حمزة الفناري (ت 834هـ) مطبعة شيخ يحيى أفندي، تركيا

34 فواتح الرحموت شرح مسلّم الثبوت لابن عبد الشكور عبد العلي محمد الأنصاري، المطبعة الخيرية، ط أولى 1322هـ، بولاق، مصر

35 في التصوف محمد المبارك عبد الله، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1397هـ – 1977م، السودان

36 القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817هـ) دار إحياء التراث العربي، ط أولى 1422هـ – 2001م، بيروت

37 قواطع الأدلة في الأصول منصور بن محمد السمعاني (ت 489هـ) رسالة دكتوراه، مطبوعة على الآلة الكاتبة دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم بركات،1412هـ – 1992م

38 قواعد التصوف أحمد بن أحمد بن رزوق مطبعة النهضة الجديدة، مصر

39 قواعد الصوفية محمد بن عمر الغمري (ت 849هـ) تحقيق . د عبد الحميد حمدان، دار الصفوة، ط ثانية 2002م، القاهرة

40 لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ) دار صادر، ط أولى 1997م، بيروت

41 المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت

42 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد الفيومي (ت 770هـ) تحقيق عبد العظيم الشناوي، طبعة دار المعارف، القاهرة

43 المعجم الفلسفي جميل صليبا الشركة العالمية للكتاب 1414هـ – 1994م، بيروت

44 المعجم الوجيز في مجمع اللغة العربية دار التحرير للنشر، ط ثانية 1406هـ – 1986م، القاهرة

45 مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي المكتبة العصرية، ط رابعة 1418هـ – 1998م، بيروت

46 المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة محمد بن عبد الرّحمن السخاوي (ت 902هـ) دار الكتب العلمية، بيروت

47 مجموع فتاوى أحمد بن تيمية الحراني، دار الوفاء، ط ثانية 1422هـ – 2001م، مصر، المنصورة

48 الموافقات في أصول الشريعة إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (ت 795هـ) تحقيق خالد شبل، مؤسسة الرسالة، 1425هـ – 1999م

49 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ) دار الكتاب العربي، ط خامسة 1419هـ – 1998م، بيروت

50 مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 246هـ) المكتب الإسلامي، بيروت

51 موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى. د يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط أولى 1422هـ – 2001م، بيروت

52 ميزان العمل محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ) دار الهلال، ط أولى 1995م، بيروت

53 نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول محمد الحكيم الترمذي، المكتبة العلمية، 1294هـ، المدينة المنورة